د/ محمد لخضر عوامي
أستاذ محاضر
جامعة 8 ماي 1945 – قالمة- الجزائر
قسم التاريخ و الآثار

المدرسة التَّاشفينية بتلمسان

جوهرة الفن الزياني

تمهيد

تعد المدرسة التَّاشفينية أروع ما شيده سلاطين بنو زيان من عمائر بعاصمة ملكهم مدينة تلمسان، كما يفهم ذلك من مختلف المصادر التاريخية، و رغم أن هذه المدرسة اندثرت تماما، فإن ما وصلنا من مخططات و رسومات انجزت خلال الحقبة الاستعمارية قبل هدمها، يؤكد ما ذكره المؤرخون عن روعة هذه المدرسة و جمالها.

تتميز هذه المدرسة عن غيرها من المدارس المشيدة بالغرب الإسلامي، بعدة خصائص معمارية و زخرفية، تجعل منها نموذجا معماريا و فنيا فريدا في تاريخ الفن بالغرب الإسلامي كما يظهر ذلك جليا من خلال النماذج القليلة من لوحات الزليج التي وصلتنا و من خلال المخططات و الرسومات السابقة الذكر، و رغم أهميتها في تاريخ الفن بالغرب الإسلامي عامة و الفن الزياني خاصة، فإن هذا المعلم يبقى مجهول للكثير، و سنحاول من خلال هذا العمل التعريف به و بما كان يزخر به من روائع زخرفية فريدة من نوعها و جعلها في متناول المختصين في الفن الإسلامي خاصة، و لكل المهتمين بالفن و التراث عامة.

لمحة تاريخية عن المدرسة

شيَّد هذه المدرسة السلطان الزياني أبو تاشفين الأول كما يشير إلى ذلك التنسي في معرض حديثه عن أعمال هذا السلطان، فيقول" ...و حسن كذلك كله ببناء المدرسة الجليلة العديمة النظير التي بناها بازاء الجامع الأعظم. ما ترك شيئا مما اختصت به قصوره المشيدة ، الا و شيد مثله بها، شكر الله له صنعه و اجزل له عليه ثوابه"[1]، غير أننا لا نعرف التاريخ الذي شُيدت فيه المدرسة بالضبط. يفهم من الوصف الذي أورده المهندس إدمون دوتوا (E.Duthoit) حول بقايا الزخرفة النباتية التي شاهدها ببيت الصلاة، أنها كانت بنفس أسلوب زخرفة مسجد سيدي أبي الحسن، مما يؤدي بنا إلى الاعتقاد أن تاريخ بناء هذه المدرسة قريب العهد بتاريخ بناء مسجد أبي الحسن المشيد سنة 1292 م، فمن المرجح إذًا انها شُيدت خلال الربع الأول من القرن الرابع عشر الميلادي في عهد السلطان أبي تاشفين، أما الأستاذ لو سيان قولفين (L. Golvin) فيقول أنها بُنيت سنة 728 هـ/ 1327 م.[2] الأمر الأكيد أنها شُيدت قبل سنة 736 هـ/ 1335 م و هو تاريخ بداية الحصار الذي ضربه السلطان المريني أبو الحسن على تلمسان،

[1] التنسي (محمد بن عبد الله)، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من كتاب نظم الدّر و العيقان في بيان شرف بني زيان، حققه و علق عليه محمود بو عياد، الجزائر، 1985، ص. 141.

[2] L. Golvin, La madrasa médiévale, Aix-en-Provence, Édisud, 1995.p.199.

فمن غير المنطقي أن يتم تشييد مثل هذا البناء خلال فترة الحرب و الحصار الذي عرفته المدينة. اما الأستاذ رشيد بورويبة فيشير إلى أعمال الترميم التي شهدتها المدرسة في عهد السلطان أبي العباس و أصبحت ملحقة لزاوية سيدي لحسن المازيلي.[1]

تضررت المدرسة كثيرا خلال العهد العثماني كغيرها من معالم المدينة بسبب الإهمال و قلة الصيانة، و تدهورت وضعيتها أكثر خلال العهد الاستعماري، حيث حُولِت مرافقها المختلفة إلى محلات تجارية و حُول المصلى إلى قاعة للحفلات.[2] هذه التغييرات أدت إلى تشويه معالم المدرسة بشكل كبير، و في نهاية الأمر قامت السلطات الاستعمارية بهدمها كليا سنة 1878 لتبني على أنقاضها دار البلدية، و بذلك اندثر أحد أهم المعالم الإسلامية بمدينة تلمسان.

الدراسة الوصفية و التحليلية لمخطط المدرسة

نعتمد في هذه الدراسة على مخططين أنجزتهما مصالح الهندسية العسكرية لقوات الاحتلال الفرنسي عند سيطرتها على مدينة تلمسان (شكل رقم 1 و 2). يتخذ مخطط المدرسة شكل مستطيل منتظم، عمقه أكبر من عرضه، يعتمد على محورين متعامدين : محور أول شمال- شرق/ جنوب- غرب يمر عبر بوابتي المدرسة، و محور ثاني شمال – غرب / جنوب – شرق يمر عبر المحراب.

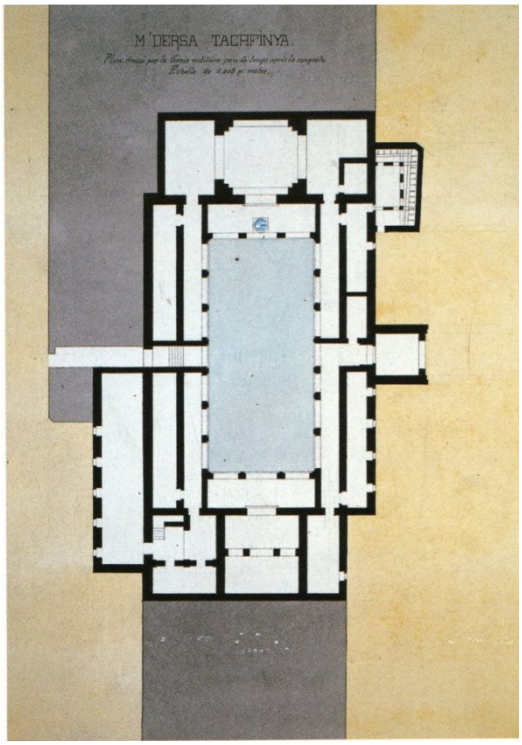

المدرسة التَّاشفينية : مخطط رقم 1.

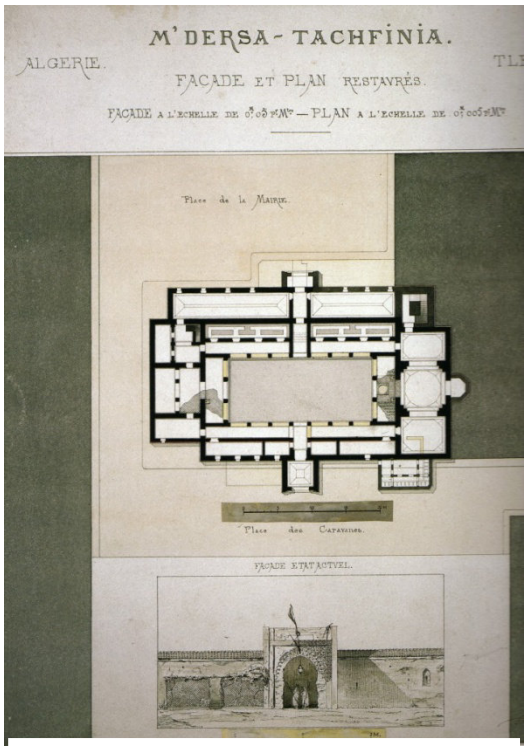

المدرسة التَّاشفينية : مخطط رقم 2.

تنتظم مرافق المدرسة حول صحن مركزي واسع عمقه 21 م و عرضه 9.50 م،[3] يحيط به من الجهتين الشرقية و الغربية رواق طويل مكون من سبعة عقود تقوم على دعائم مربعة، و من الجهتين الشمالية و الجنوبية رواق مكون من ثلاثة عقود تقوم بدورها على دعائم مربعة.

[1] R. Bourouiba, L'art religieux musulman en Algérie, Alger, Sned, 1981, p. 197.
[2] E. Duthoit, Rapport sur les monuments historiques de l'Algérie : Architecture musulmane dans la province d'Oran, Amiens, 1875, p. 90.
[3] E. Duthoit, op.cit., p. 91.

تتكون الجهة الجنوبية للصحن من رواق مكون من ثلاثة عقود، و هو معزول بجدار عن الرواقين الجانبيين للصحن،[1] و تفتح عليه بيت الصلاة التي تحتل القسم الجنوبي من المدرسة. هذه الأخيرة عبارة عن قاعة مستطيلة عرضها 17.30 م و عمقها 6.80 م،[2] تقسمها أربعة ركائز مدمجة في الجدارين الشمالي و الجنوبي إلى ثلاث مساحات : مساحة وسطى مربعة يتوسط جدارها الجنوبي محراب مضلع و يغطيها على الأرجح سقف هرمي كما هو معهود في المنطقة في ذلك العهد، و مساحتان جانبيتان مستطيلتان، عمقهما أكبر من عرضهما و تغطيهما سقوف ذات منحدرين (البرشلة)، و يعتقد الأستاذ جورج مارسية(G. Marçais) أن المساحة الغربية كانت تحتظن ضريح.[3]

هذا التخطيط لبيت الصلاة على هيئة ثلاثة مساحات، يشبه تخطيط بعض مدارس الشام و بشكل خاص المدرسة الظاهرية بحلب،[4] و هو نفس التخطيط تقريبا المستعمل في بيت الصلاة لمدرسة أبي الحسن بسلا.[5]

الجهة الشمالية للصحن المقابلة لبيت الصلاة، تتكون من رواق ذو ثلاثة عقود، تفتح عليه قاعة مستطيلة مقسمة بواسطة ثلاثة عقود تقوم على ركيزتين في الوسط و ركيزتين مدمجتين في الجدارين الشرقي و الغربي. لا نعرف بالتحديد وضيفة هذه القاعة، ربما كانت تستعمل للتدريس كما يذهب إلى ذلك الأستاذ جورج مارسي (G. Marçais).[6] تتصل هذه القاعة من الجهة الشرقية بقاعة صغيرة عمقها أكبر من عرضها، و من الجهة الشرقية بمساحة مربعة مقسمة بدورها إلى ثلاث مساحات أو قاعات صغيرة، واحدة من الجهة الشمالية و أخرى من الجهة الجنوبية تتصل بدورها بالرواق الشرقي للصحن، و أخرى من الجهة الشرقية بها سلم ربما كان يؤدي إلى طابق علوي ؟ لا نعرف إن كان هناك طابق علوي، على الأقل لا نشاهد ذلك على المخططين السابقين.

يطل على الجهتين الشرقية و الغربية للصحن رواقان، كل رواق مكون من سبعة عقود تقوم على ركائز مربعة، العقد الأوسط يؤدي بواسطة رواق إلى بوابتين : بوابة رئيسية تتوسط الجدار الغربي للمدرسة و بوابة ثانية في محور الأولى و تتوسط الجدار الشرقي. تقع خلف الرواقان السابقان و على جانبي رواق البوابتان، قاعة طويلة لا تفتح مباشرة على رواق الصحن و إنما بها فتحة فريدة عند طرفي الرواق من الجهتين الشمالية و الجنوبية. و يرى الأستاذ جورج مارسي (G.Marçais) أن هذه القاعات كانت تستعمل كمراقد للطلبة أو الزوار الغرباء عن المدينة،[7] أما الأستاذ لوسيان قولفين (L.Golvin) فيرى أن شكل هذه القاعات يعود إلى الترميمات التي شهدتها المدرسة، و يضيف أنه يمكن أن نتصور أن كل قاعة من هذه القاعات، كانت في الأصل مقسمة بواسطة جدران إلى غرف للطلبة تفتح على هذين الرواقين كما هو شائع في مثل هذه المدارس.[8] للمدرسة مئذنة، تبدو من خلال المخطط المخطط رقم 2، انها كانت مستطيلة و ليست مربعة، تقع في الزاوية الجنوبية الشرقية للمدرسة و تتصل بالمساحة الجانبية الشرقية لبيت الصلاة.

---

[1] من المحتمل جدا أن هذه الجدران التي تعزل الرواقين الشرقي و الغربي عن الرواقين الشمالي و الجنوبي من التعديلات و الترميمات التي شهدتها المدرسة في عهد السلطان أبي العباس الذي حكم ما بين 1430 و 1451م.

[2] E. Duthoit, op.cit., p. 92.

[3] G.Marçais, « Remarques sur les médersas funéraires en Berbérie » in Mélanges Gaudefroy-Demonbynes, le Caire, 1934, p. 276.

[4] L. Golvin, op.cit., p. 202.

[5] Ch. Terrasse, Médersas du Maroc, Paris, A. Morancé, 1927, pp. 15-17.

[6] G.Marçais, « Remarques sur les médersas … », op.cit., p. 274.

[7] Id, 274.

[8] L. Golvin, op.cit., p. 200.

عموما، هذه المدرسة في خطوطها العريضة لا تختلف عن بقية المدارس الأخرى بوجود صحن مركزي و غرف أو قاعات لإيواء الطلبة و بيت للصلاة. غير أن اهم ما يميز هذه المدرسة هي مساحتها الكبيرة، حيث يمكن تقدير أبعادها اعتمادا على مقياس الرسم المستعمل في المخطط رقم 2، حيث يقدر عمقها بحوالي 44 م و عرضها بحوالي 22 م،[1] مما يجعلها ثان أكبر مدرسة بالمغرب الإسلامي بعد المدرسة البوعنانية بفاس.[2] كما تتميز هذه المدرسة ببعض التفاصيل في تخطيطها عن بقية مدارس الغرب الإسلامي، الإسلامي، أهمها هو الجناح الشمالي للبناء المقابل لبيت الصلاة، أين نجد مجموعة من القاعات الصغيرة و ساحة و هو الأمر الذي لا نراه في أية مدرسة أخرى، و كذلك وجود بوابتان تتوسطان الضلعان الكبيران للبناء، و هو أمر غير معهود في المدارس الأخرى، حيث يكون المدخل عادة في محور البناء و مقابل لبيت الصلاة. هذه التفاصيل في تخطيطها و مساحتها الشاسعة و زخرفتها تجعل من هذه المدرسة معلما معماريا و فنيا فريدا بالغرب الإسلامي.

الدراسة الوصفية و التحليلية للزخرفة

يفهم من وصف المهندس إدمون دوتوا (E. Duthoit) عند زيارته للمدرسة سنة 1873، و من خلال البقايا الزخرفية الأصلية التي مازالت في موضعها، أن الزليج كان يبلط الأرضيات و محيط نافورة للمياه، كما كان يكسو الأقسام العلوية من الجدران و واجهة البوابة الغربية، أما العقود و الأقسام العلوية من الجدران فكانت مكسوة بالزخارف المنقوشة على الجص، و السقوف مغطاة بسقوف البرشلة الخشبية (السقوف الهرمية). و إن كانت المدرسة في حالة جيدة من الحفظ عندما زار الأب بارجس (J.J.L. Bargès) مدينة تلمسان سنة 1852[3]، فقد تضررت لاحقا بشكل كبير بسبب تحويلها عن وضيفتها الأصلية إلى محلات تجارية و قاعة حفلات، حيث يقول المهندس إدمون دوتوا (E. Duthoit) عند زيارتها، أنها فقدت مجمل زخارفها الأصلية، و لم يتبق منها سوي جانب بسيط من الزليج الذي كان يكسو أرضياتها و جدرانها.[4]

اندثرت المدرسة تماما و لم يصلنا منها سوى بعض لوحات الزليج النادرة، و إفريز كتابي على الجص، و لحسن الحظ وصلنا أيضا العديد من الرسومات الثمينة عن زخارف المدرسة أنجزها كل من المهندس إدمون دوتوا (E. Duthoit) و المهندس أوجان دونجوا (E. Danjoy)، و تتمثل في رسومات للوحات الزليج التي كانت تبلط أرضيات الصحن و نافورة المياه و جدران قان الصلاة و البوابة الغربية للمدرسة. و رغم قلتها، فهي تعتبر من أقدم و أجمل النماذج عن الزليج ليس في تلمسان وحدها و إنما بمنطقة الغرب الإسلامي ككل.

اما فيما يخص الأنواع الأخرى من الزخارف التي كانت تزدان بها المدرسة، فليست لدينا فكرة دقيقة عنها، فنحن لا نعرف انواع العقود التي كانت مستعملة فيها، فالإشارة الوحيدة عن العقود كانت حول عقد باب بيت الصلاة حيث يقول المهندس دوتوا أنه عقد حدوي،[5] كما أننا لا نعرف شيئا عن الزخارف الجصية التي كانت بدون شك تكسوا العقود و الأجزاء العلوية من جدران المدرسة و بهو البوابات، و لا التشكيلات الزخرفية المستعملة عليها سواء كانت نباتية، هندسية أو كتابية.

---

[1] ما يدعم هذه التقديرات لأبعاد المدرسة، مقاسات الصحن و قاعة الصلاة التي ذكرها المهندس إدمون دوتوا (E. Duthoit).

[2] Ch. Terrasse, op.cit., pp. 24-29.

[3] J.J.L. Bargès, Tlemcen, ancienne capitale du royaume de ce nom, Paris, Benjamin Duprat, 1859, p. 333.

[4] E. Duthoit, op.cit., p. 92.

[5] Id, p. 91.

البوابة الغربية (شكل رقم 1 و 2)

كانت البوابة الغربية للمدرسة لا تزال قائمة إلى غاية سنة 1878 تاريخ هدم المدرسة، محافظة على مجمل زخارفها و كانت تعد بحق أجمل ما تبقى من هذه المدرسة كما أشار إلى ذلك المهندس دوتوا (E. Duthoit)[1]. دمرت هذه البوابة و لم يتبق منها سوى بعض القطع القليلة المحفوظة بالمتحف الوطني للآثار بالجزائر العاصمة،[2] و الرسم الذي أنجزه المهندس دونجوا (E. Danjoy) و هو الوثيقة الوحيدة التي تعطينا صورة عن هذه البوابة كما كانت عليه في الأصل و التي تعد إلى جانب مسجد سيدي أبي الحسن أهم الأمثلة عن الفن الزياني.

تتوسط هذه البوابة الجدار الغربي للمدرسة، و هي بارزة بشكل كامل عن الجدار، ذات تخطيط مربع، سقفها ذو أربعة منحدرات و يغطيه من الخارج سقف هرمي من القرميد الأخضر، تؤدي عبر رواق طويل إلى الصحن. كانت البوابة خلال الحقبة الاستعمارية، محافظة على الجزء الأكبر من زخارفها، كما نشاهد ذلك على الرسم الذي أنجزه المهندس دنجوا (Danjoy) ، و هو رسم لعقد البوابة في الحالة التي كانت عليها أنذاك (شكل رقم 4)، كما أنجز رسم ثاني للبوابة و هو إعادة تصميم كلي للبوابة كمشروع لترميمها (شكل رقم 3)، و هي وثائق جد ثمينة باعتبارها الأدلة المادية القليلة التي وصلتنا عن هذه البوابة.

تتشكل واجهة البوابة (شكل رقم 3) من باب ذو عقد حدوي منكسر، تحيط به ثلاثة دخلات متتالية (retraits). يؤطره من الخارج، إطار أول تكسوه طبقة من الزليج مشكل من صف عمودي من الأطباق النجمية السوداء ذات 12 رأس، يعتمد تخطيطها على المربع و تفصل بين رؤوس الطبق النجمي و مضلعاته المختلفة خيوط باللون الأبيض، يليه شريط ضيق من الزليج الأخضر. سطح عقد الباب، ناتئ ببعض السنتيمترات عن سطح الإطار السابق، يزينه عقد زخرفي مفصص (arc festonné) مكون من 23 فص دائري و المساحة المحصورة بين العقدين (voussure) مكسوة بطبقة من الزليج المورق،[3] أي أنها منجزة بالعناصر النباتية بدل العناصر الهندسية المعهودة في هذا النوع من الزخرفة. تصميم زخرفة كل فص يقوم على أساس خمسة دوائر : دائرتان سفليتان كبيرتان تعلوهما دائرتان أصغر حجما و تتوجهما دائرة خامسة، و هي مشكلة من أغصان نباتية رفيعة سوداء تقوم عليها زهيرات كبيرة مشكلة من تقابل مروحتين ثلاثية الفصوص، و كل مروحة سوداء اللون و نهاية فصيها تكون إما خضراء أو صفراء، و كل زهيرة كبيرة تنتهي بزهيرة صغيرة ثلاثية الفصوص، قاعدتها زرقاء و رأسها أخضر، كما تتخللها زهيرات بسيطة قاعدتها صفراء و رأسها أزرق أو العكس.

---

[1] E. Duthoit, op.cit., p. 96.

[2] و في الوقت الراهن ما تبقى من قطع الزليج التي كانت تكسوا عقد البوابة الغربية مثبتة على لوحة من الجص و لكن بشكل لا يحترم وضعيتها الأصلية على العقد.

[3] للمزيد من المعلومات حول مختلف تقنيات صناعة الزليج، أنظر.

A. Paccard, Le Maroc et l'artisanat traditionnel islamique dans l'architecture, Annecy, Ed. Atelier 1974, 1981, t. I, pp. 357- 452.

شكل رقم 1 : المدرسة التَّاشفينية، البوابة الغربية

كوشتي العقد مكسوتان بدورهما كليا بالزليج، و لكنه ذو تصميم هندسي، و يعتمد تصميم زخرفة كل كوشة على طبق نجمي مركزي أسود اللون ذو 16 رأس، تحيط به أربعة أطباق نجمية ثمُانية الرؤوس صغيرة الحجم، اثنتان زرقوان و اثنتان صفروان،

و تفصل بين كل المضلعات التي تشكل هذه التركيبة الزخرفية، خيوط بيضاء. القسم العلوي من البوابة فَقَدَ زخارفه الأصلية، و من المحتمل جدا أنها كانت تتكون من إفريز عريض من الزليج ذو تصميم هندسي، و تنتهي بظلَّة مشكلة من كوابل من الأجر مشابهة لظلَّة بوابة مدرسة و مسجد سيدي أبي مدين بالعُبَّاد.[1]

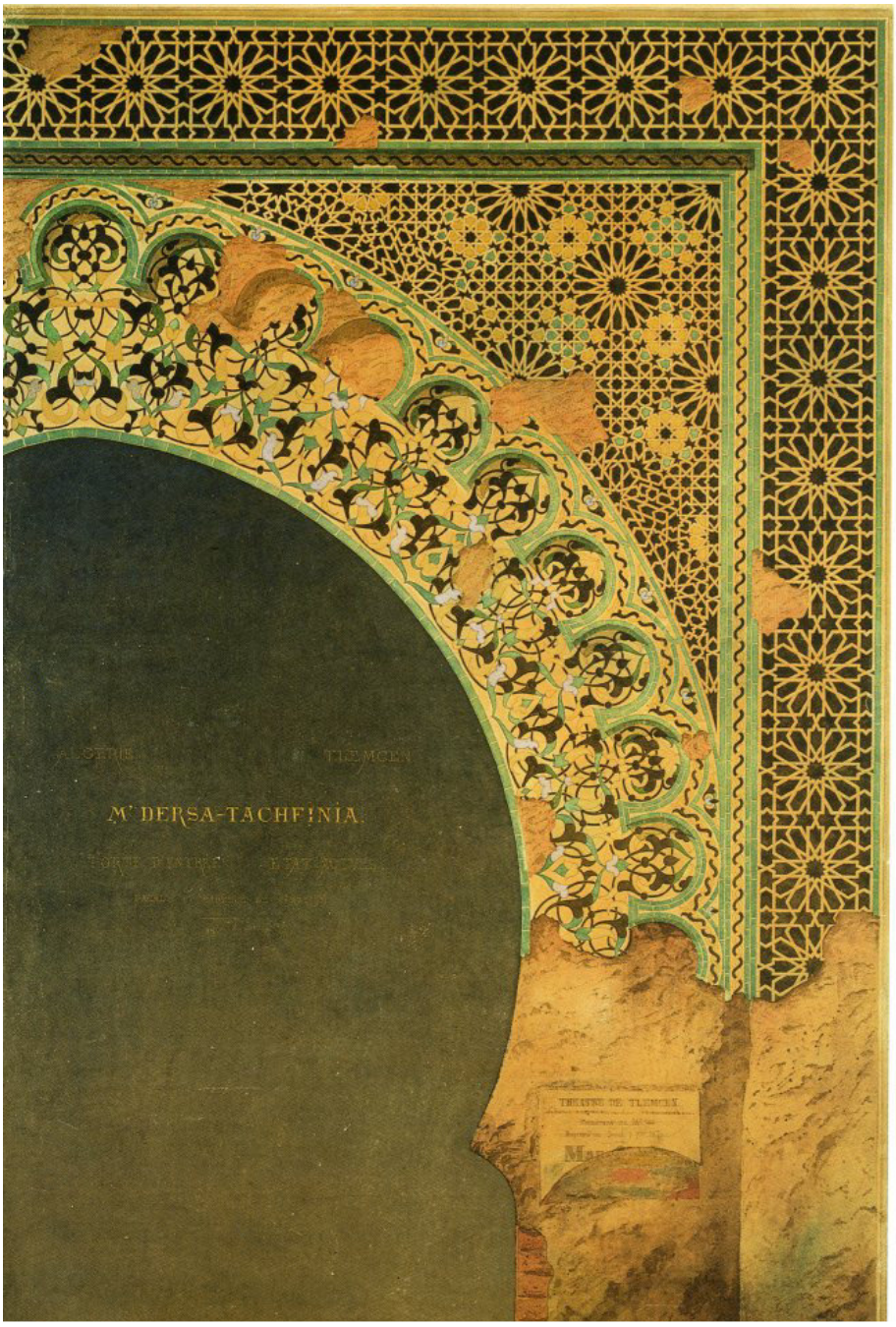

شكل رقم 2 : المدرسة التّاشفينية، عد البوابة الغربية

تعتبر هذه البوابة نموذجا فريدا من نوعه في العمارة بالغرب الإسلامي، و إذا كان شكلها العام لا يختلف عن شكل البوابات الزيانية أو المرينية التي كانت سائدة في تلك الحقبة التاريخية، فهي تتميز عنها بزخرفتها من الزليج، فهي أقدم مثال عن بوابة مزينة كليا بالزليج، و بلا شك فقد كانت النموذج الذي بنيت على منواله بقية البوابات المزينة بالزليج بتلمسان، و ما يدعم هذا الطرح أن

[1] G. Marçais, Les monuments arabes de Tlemcen, Paris, Albert Fontemoing Editeur, 1913, pl. VIII.

أغلب هذه البوابات موجودة بمدينة تلمسان (بوابتي مسجد و مدرسة سيدي أبي مدين بالعُبَّاد، بوابة مسجد سيدي الحلوي، و بوابة المدرسة اليعقوبية)،[1] أما بالمغرب الأقصى فلا توجد هناك بوابة مرينية واحدة زخرفت بالزليج كما هو الحال في هذه البوابة، و المثال المريني الوحيد عن استعمال الزليج لكسوة العقود في العمارة المرينية بالمغرب الأقصى نجده بمقبرة شالَّة،[2] و هو في الواقع أحد عقود البناء الداخلية و ليس عقد بوابة، وقد شيَّد هذه المقبرة السلطان أبو الحسن علي سنة 739 هـ/ 1339 م، أي بعد احتلاله لمدينة تلمسان، فمن المحتمل جدا أن بوابة المدرسة التَّاشفينية كانت نموذجا لبقية البوابات المكسوة بالزليج بمدينة تلمسان و بمقبرة شالَّة. من جهة ثانية نلاحظ استعمال الزليج المورق بشكل واسع، مع استعمال تصاميم جد معقدة و تنوعا كبيرا في الألوان، مما يدل على تحكم كبير و براعة في هذه الصناعة، فأقدم مثال بالمغرب الأقصى في عهد بني مرين المعاصرين لبني زيان، نشاهده في مدرسة الصَّهريج، و لكن كان بشكل جد محدود، حيث اقتصر استعماله على تزيين إطار المربع المحيط بنافورة المياه أمام مدخل الصحن.

هذا بالنسبة للواجهة، أما القسم الداخلي للبوابة (البهو)، فليست لدينا أية فكرة عن زخرفته، الشئ المؤكد أنه كان مزين بزخارف كتابية و نباتية منقوشة على الجص كما يفهم ذلك من كلام المهندس دوتوا (E. Duthoit) الذي يشير إلى وجود كتابات و عناصر نباتية تغطيها طبقة من الجبس الأبيض.[3] فيمكن أن تصور أن زخارفها كانت تشبه زخارف بوابة مسجد سيدي أبي مدين، فهذه الأخيرة تشبه بوابة المدرسة التَّاشفينية في تخطيطها و في كسوة واجهتها بالزليج و في الأفاريز الكتابية التي تزينها، مما لا يدع مجال للشك أن بوابة مسجد سيدي أبي مدين قد بُنيت و زخرفت على منوال بوابة المدرسة التَّاشفينية.

الزليج

كانت المدرسة خلال العهد الاستعماري قبل هدمها، لا تزال تحتفظ بجانب من الزليج الأصلي الذي كان يبلط القسم الأوسط من الرواقين الجنوبي و الشمالي للصحن، و يكسو جدران بيت الصلاة، و القاعة الشمالية المقابلة لبيت الصلاة.

زليج الرواق الجنوبي

حافظ الرواق الجنوبي للمدرسة على جزء لا بأس به من الزليج الذي كان يبلطه (شكل رقم 3)، و هو يمثل أهم و أجمل النماذج عن الزليج الزياني، و رغم قلتها فهي تتميز بتنوع كبير في تصاميمها الهندسية، إلى جانب التصاميم النباتية المعقدة، التي لم يكن استعمالها معهودا لتبليط الأرضيات، و هو الأمر الذي يبرهن على مدى أهمية هذه المدرسة و غناها و المستوى الراقي الذي بلغته صناعة الزليج في العهد الزياني. و كما نشاهده من خلال رسومات المهندس دونجوا (E. Danjoy)، فإن زليج هذا الرواق كان يتكون من نافورة للمياه دائرية تتوسط مساحة مربعة، مثلثاتها مكسوة بالزليج المورق، ثم بساط من الزليج ذو التصاميم الهندسية يبلط بقية الرواق.

[1] Ch. Brosselard, Les tombeaux des émirs Beni-Zeyna, et de Bouabdil dernier roi de Grenade découverts à Tlemcen, Extrait du journal asiatique (Janvier-février 1876), Paris, Imprimerie nationale, 1876, p. 392.
[2] E. Levi-Provençal & H. Basset, Chella : une nécropole mérinide, Hespéris, 1922, pl. IX.
[3] Duthoit. E, op.cit., p. 96.

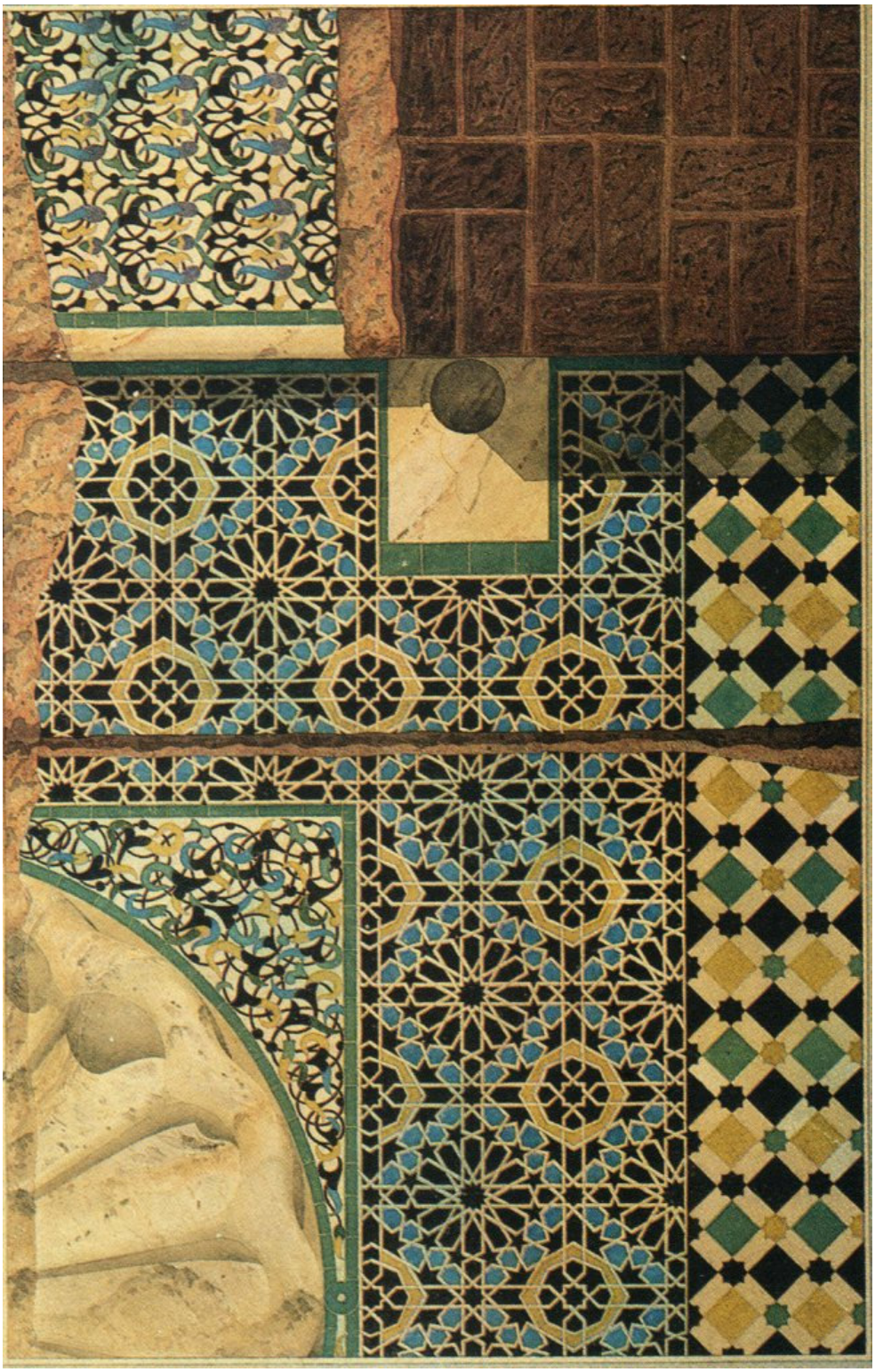

شكل رقم 3 : المدرسة التَّاشفينية، زليج الرواق الجنوبي

يبلط القسم الأوسط من الرواق الجنوبي، زليج ذو تصميم هندسي يشكل أرضية لنافورة المياه السابقة الذكر، و هو يتكون من شبكة من الأطباق النجمية ذات 12 رأس، يعتمد تشكليها على التخطيط المربع و تتخللها معينات زرقاء تشكلها المضلعات

الصغيرة الناتجة عن تقاطع أضلاع الأطباق النجمية، و تحصر في وسطها و بشكل متناوب الأطباق النجمية السابقة، و مضلعات ثمانية الأضلاع صفراء اللون. على جانبي القسم الأوسط من الرواق، شريط ضيق من الزليج ذو تصميم بسيط مكون من معينات صفراء و خضراء، تفصل بينها قضبان بيضاء تحصر فيما بينها نجوم ثمانية الرؤوس المسماة "خاتم سليمان" و هو من الأشكال القاعدية للزليج في المغرب الإسلامي و تستعمل عادة في كسوة الجدران.

زليج نافورة المياه (شكل رقم 4)

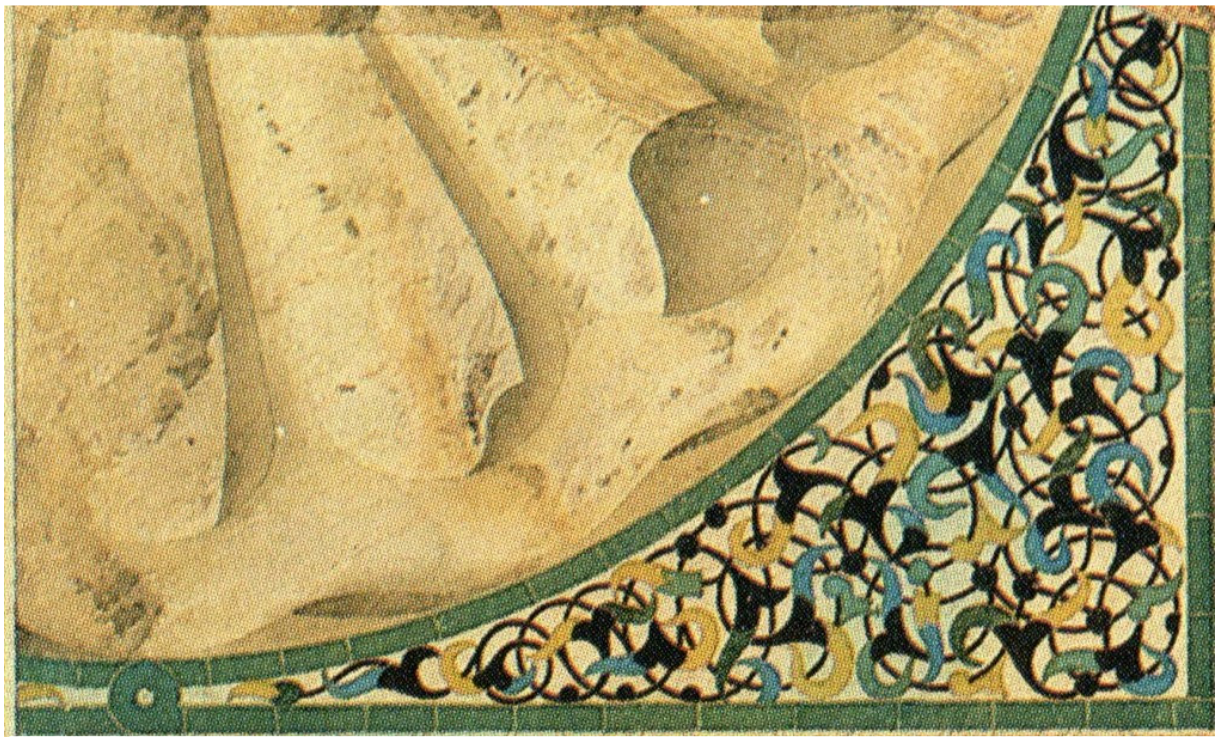

شكل رقم 4 : المدرسة التَّاشفينية، زليج نافورة المياه

تتوسط الرواق الجنوبي و أمام مدخل قاعة الصلاة، نافورة مياه صغيرة دائرية الشكل تتوسط مساحة مربعة مكسوة بالزليج. يؤطر المساحة المربعة و الدائرة المحيطة بالنافورة إطار ضيق من الزليج الأخضر، أما المساحات المثلثة المحصورة بين دائرة النافورة و إطارها المربع، فهي مكسوة بالزليج المورق. تصميمها يعتمد على أغصان نباتية سوداء رفيعة تتخللها بعض الدوائر الصغيرة، تلتف بشكل حلقات لتغطي تلك المساحات المثلثة، و تتفرع منها مراوح ثنائية الفصوص تشبه تلك المستعملة في بوابة مسجد سيدي أبي مدين. استعملت في هذه التركيبة الزخرفية، مراوح ذات فصان كبيران متماثلان أو فصان غير متساويان، يلتفان في اتجاهين متعاكسين في غالب الأحيان. و تتميز بتعدد ألوانها منها اللون الأسود، الأخضر، الأزرق، الأصفر و الأبيض الذي يشكل الأرضية، و كل مروحة تتكون من لونين أو ثلاثة، حيث يكون عقب المروحة و الجزء السفلي منها دائما باللون الأسود بينما فصاها يكونان بلون ثان و لكن في غالب الأحيان يكونان بلونين مختلفين.[1] يتخلل هذه المراوح نوعين من الزهيرات؛ زهيرات

[1] عقب المروحة و الجزء السفلي منها يكون دائما أسود، بينما الفصان يكونان باللون الأخضر و الأزرق، أو الأخضر و الأصفر، او الأزرق و الأصفر.

قاعدتها مستوية وفصها قليل الانحناء، و زهيرات أخرى قاعدتها دائرية و فصها يلتوي بشكل كبير، و تكون قاعدته بلون و فصها بلون أخر.

استعمل الزليج أو بالأحرى البلاطات الخزفية ذات التصميم المورق لأول مرة عند الموحدين في تيجان مئذنة جامع القصبة بمراكش،[1] كما استعمل فيما بعد في تيجان مئذنة مسجد سيدي أبي الحسن بتلمسان[2]، و كذلك بالمثلثات المحيطة بالنافورة عند مدخل صحن مدرسة الصَّهريج بفاس، غير أن استعماله في هذه النافورة كان بشكل واسع لم نراه من قبل، كما أنه يتميز بتصاميمه المعقدة و بألوانه المتعددة، فهي تضاهي في جمالها و تعقيداتها الزليج المورق الذي يزين كوشات عقود بوابة مسجد سيدي أبي مدين بالعُباد المشيد لاحقا.

زليج عتبة باب بيت الصلاة (شكل 5)

كانت تكسو عتبة بيت الصلاة، لوحة من الزليج يمكن اعتباره من أجمل ما صمم من زليج خلال القرن الرابع عشر الميلادي. فأول ما يشد الانتباه أنها من الزليج المورق الثمين و النادر، الذي كان استعماله يقتصر على كوشات العقود، لنجده في هذه المدرسة يستعمل لكسوة عتبة باب بيت الصلاة و تدوسه أقدام المصلين.

تصميمه يقوم على أساس دائرتين متماثلتين و متقابلتين على جانبي محور مركزي وهمي، و هي مشكلة من أغصان نباتية رقيقة سوداء، تتفرع من كل دائرة مروحة ثنائية الفصوص القسم الأوسط منها أسود و فصاها خضراون، يتقابلان عند المحور المركزي مشكلان زهيرة كبيرة ثلاثية الفصوص، و هو نوع من الزهيرات التقليدية واسعة الاستعمال في الزخرفة الإسلامية. و يتوج نهاية الزهيرة برعم أخضر اللون قاعدته مكونة من فصين، أحدهما بنفسجي و الأخر أصفر، و تتفرع من دائرتين أخريين تقعان في مستوى أعلى من الدائرتين السابقتين، زهيرتان قاعدتاهما بنفسجيتان و فصاهما زرقاوان، يتقابلان على جانبي المحور المركزي و في المستوى الفاصل بين الزهيرتين الكبيرتين.

هذا التصميم في خطوطه العريضة، لا يختلف عن أحد التصاميم التي كانت تنجز على الجص و كانت شائعة الاستعمال في العمائر الإسلامية بتلمسان و فاس،[3] غير أنها في هذه اللوحة من الزليج، تتميز عن تلك المنجزة على الجص، بتناظرها و دقتها الكبيرة الذي يفرضها الزليج .

[1] H. Basset & H. Terrasse, Sanctuaires et Forteresses almohades, Paris, Larose Editeur, 1932. p. 309.
[2] W & G. Marçais, Les monuments arabes de Tlemcen, pp. 183-184, fig. 34.
[3] H. Gayot, Le décor floral dans l'art de l'Islam occidental, Rabat, 1955, pp. 42-44.

شكل رقم 5 : المدرسة التَّاشفينية، رسم لزيج عتبة بيت الصلاة

زليج الرواق الشمالي و القاعة الشمالية (شكل رقم 6)

حافظ الجناح الشمالي للمدرسة على جزء من الزليج الذي كان يبلط الرواق الشمالي و القاعة المطلة عليه. كانت أرضية الرواق مبلطة بزليج ذو تصاميم هندسية تتمثل في صفوف من أطباق نجمية ذات 18 رأس(شكل رقم 6)، تتناوب مع صفوف أخرى مشكلة من أطباق نجمية ذات 12 رأس، كل طبق نجمي محصور بداخل مضلع سداسي الأضلاع و يغلب عليه اللون الأسود، حيث أن كل الأطباق النجمية سوداء، مع استعمال اللونين الأخضر و الأزرق و لكن بشكل محدود لبعض المضلعات الصغيرة التي تشكل المضلع السداسي الذي يحتضن الأطباق النجمية، و خيوط بيضاء للفصل بين مختلف المضلعات.

أما عتبة الباب المؤدي من الرواق إلى الغرفة التي تفتح عليه، فهي بدورها كانت مبلطة بالزليج ذو الأشكال الهندسية، و يتمثل في شبكة من الأطباق النجمية ثمانية الرؤوس (المثمن) الصغيرة باللون الأزرق أو الأصفر، منظمة في صفوف متناوبة (شكل رقم 6)، تخطيطها يعتمد على المعينات، أما بقية مضلعات هذا التصميم و التي تشكل أرضية الأطباق النجمية فهي باللون الأسود.

أما أرضية القاعة الشمالية التي تفتح على هذا الرواق، فكانت مبلطة بدورها بزليج تصميمه أكثر تعقيدا، يتكون من أطباق نجمية كبيرة ذات 20 رأس باللون الأسود(شكل رقم 6)، و تخطيطها يعتمد على المربع، بحيث أنه عند نقطة تقاطع أضلاع المربع تتشكل نجمة ثمانية الرؤوس (خاتم سليمان) يحيط بها أربعة مضلعات خضراء تتوسط مساحة بشكل معين محصورة بين أربعة أطباق نجمية كبيرة، و أضلاعها مقعرة مشكلة بواسطة مضلعات صغيرة صفاء و زرقاء ناتجة عن تقاطع الخطوط التي تشكل تلك الأطباق النجمية.

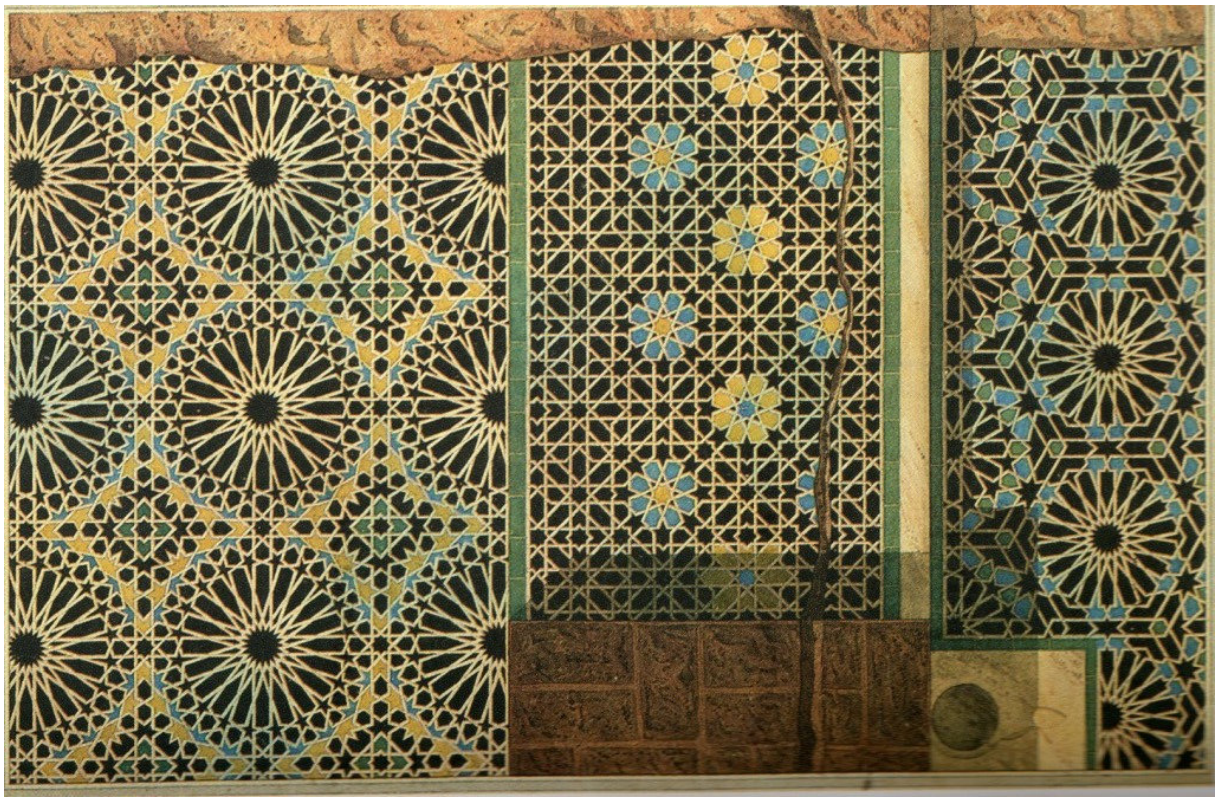

شكل رقم 6 : المدرسة التَّاشفينية، زليج الرواق الشمالي و القاعة الشمالية

زليج جدران بيت الصلاة (شكل رقم 7)

حافظت بيت الصلاة على جزء من الزليج الذي كان يكسو جدارها،[1] و يعتمد تصميمه على دائرة مركزية يتوسطها طبق نجمي ذو 10 رؤوس باللون الأسود يشكل مركز هذا التصميم، و يلتف حوله ما يشبه نجمة ذات عشرة رؤوس باللون الأزرق، مشكلة عن طريق الربط بين مجموعة من المضلعات الصغيرة الناتجة عن امتداد المضلعات المشكلة للطبق النجمي المركزي، و تلتف حولها حلقة كبيرة، تتكون من عشرة أطباق نجمية ذات 10 رؤوس، رسمت على المحاور العشرة لرؤوس الطبق المركزي، و هي باللون الأسود الذي يغلب على هذا التصميم مع اللون الأبيض كخيوط للفصل بين مختلف المضلعات المشكلة له، و لتعقيد هذا التصميم اكثر، استعمل اللون البُني للنجوم ثمانية الرؤوس التي تشكل مركز الأطباق النجمية، و للربط بين بعض المضلعات الصغيرة المشكلة للأطباق النجمية العشرة بحيث تشكل نجمة كبيرة بُنية اللون، فيبدو هذا التصميم على هيئة نجمة مركزية ذات عشرة رؤوس زرقاء تحيط بها نجمة بُنية كبيرة على أرضية من المضلعات السوداء.

تعد هذه اللوحة من أجمل و أعقد نماذج الزليج الذي يرجع إلى النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي، و هي مماثلة في تصميمها لوحة من الزليج تكسو جانبي مدخل قاعة الصلاة لمدرسة العطَّارين بفاس.[2]

[1] هذه البقايا من الزليج كانت موجودة خلف الركائز، أنظر.

E. Duthoit, op.cit., p. 92.

[2] Ch. Terrasse, op.cit., p. 25.

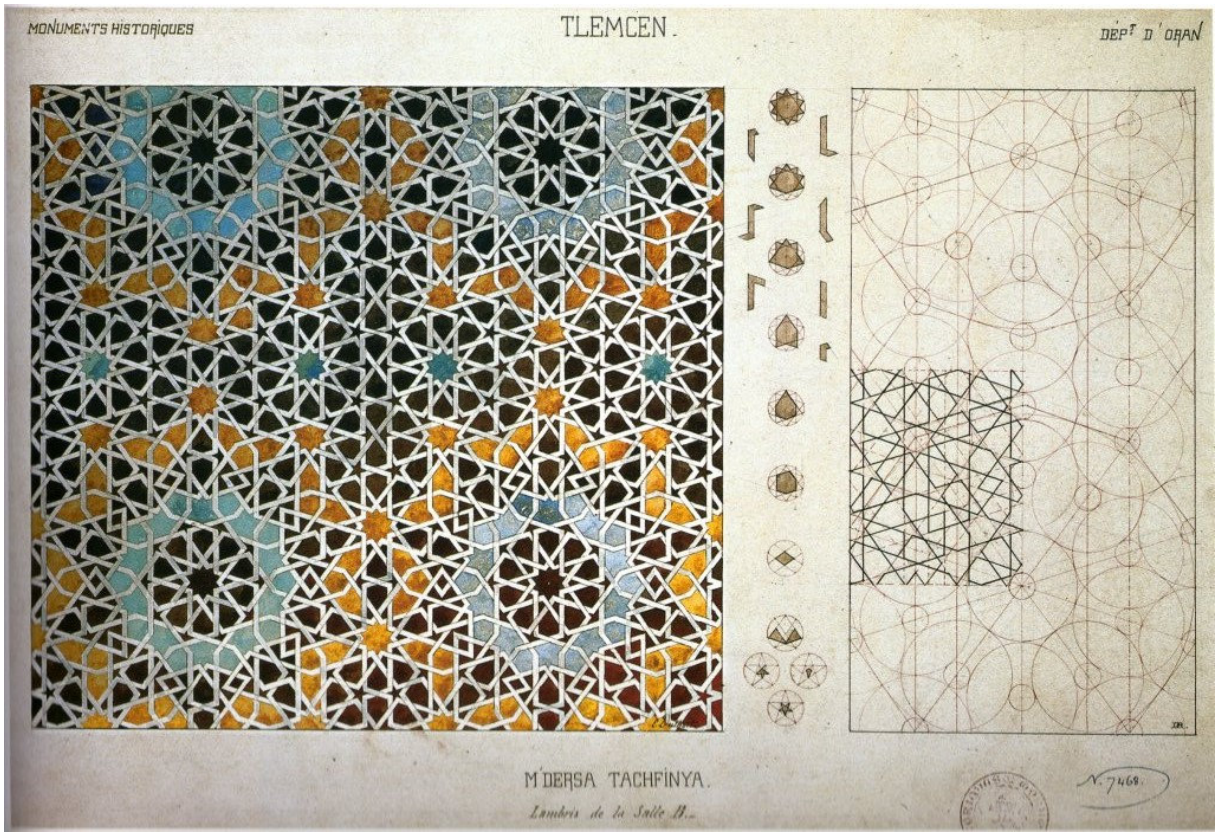

شكل رقم 7 : المدرسة التَّاشفينية، رسم لزليج جدران بيت الصلاة

إلى جانب اللوحات السابقة الذكر و التي أمكن تحديد أماكنها بالمدرسة، هناك لوحات أخرى من الزليج رسمها المهندس إدمون دوتوا (E. Duthoit) دون الإشارة إلى أماكنها بالمدرسة.

اللوحة الأولى (شكل رقم 8) تتكون من شبكة من الأطباق النجمية الصغيرة ثمانية الرؤوس (المثمن)، مركزها نجمة ثمانية الرؤوس سوداء (خاتم سلميان)، و يحيط بكل طبق نجمي مضلع ثُماني الأضلاع، إما أصفر اللون أو أزرق اللون بشكل متناوب بحيث تشكل صفوف من المضلعات الصفراء تتناوب مع صفوف من المضلعات الزرقاء. و يغلب على هذا التصميم اللون الأسود لمحمل المضلعات، تفصل بينها الخيوط البيضاء.

اللوحة الثانية (شكل رقم 9) ذات تصميم يقوم على أساس شبكة من الأطباق النجمية ثمانية الرؤوس سوداء، و بفضل استغلال الألوان الزرقاء، الخضراء و الصفراء، تمكن مصمم هذه التركيبة الزخرفية من التوصل إلى إنجاز لوحة من الزليج غاية في التعقيد و الجمال و التوازن. اعتمد مصمم هذا اللوحة على شبكة من الأطباق النجمية الصغيرة ثمانية رؤوس (الثمن)، و استغل اللون الأزرق للربط بين بعض المضلعات الناتجة عن تقاطع خطوط رسم الطبق النجمي المركزي، ليشكل مضلع ثماني الأضلاع أزرق، يحتضن طبق نجمي أسود يشكل مركز هذه اللوحة، ثم استعمل اللونين الأخضر و الأصفر لتلوين المضلعات الصغيرة المحصورة بين الطبق النجمي الأسود و المثمن بشكل متناوب باللونين الأخضر و الأصفر. كما أستغل اللون الأزرق لتلوين بعض المضلعات الأخرى بحيث تشكل نجمة كبيرة ثمانية الرؤوس زرقاء تلتف حول المثمن و الطبق النجمي المركزي، و بنفس الأسلوب استعمل اللون الأصفر ليشكل مثمن كبير يشكل إطار للتركيبة الزخرفية على أرضية سوداء تشكلها بقية المضلعات.

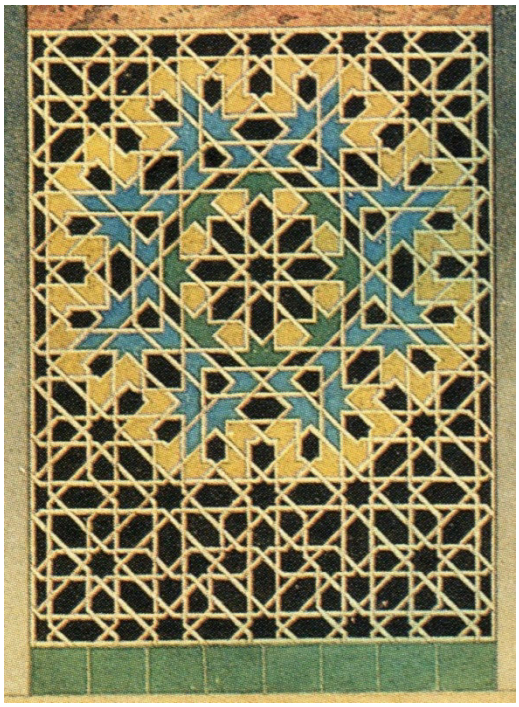

شكل رقم 9 : نموذج من زليج المدرسة التّاشفينية

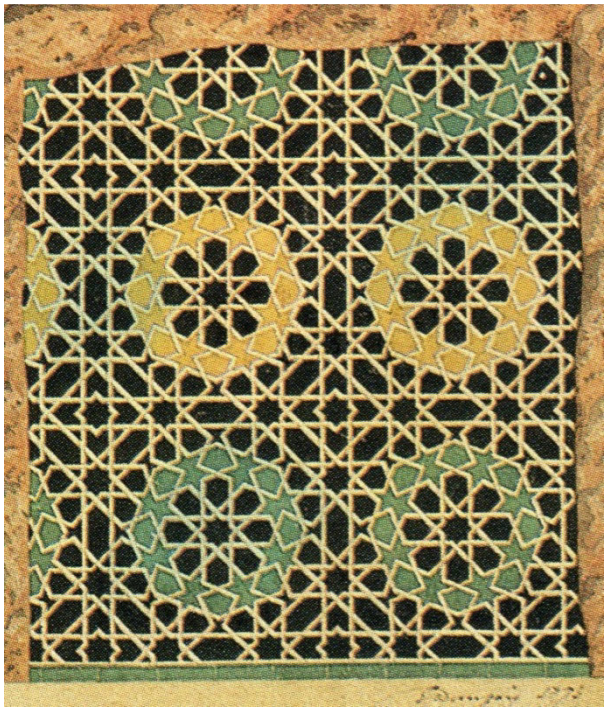

شكل رقم 8 : نموذج من زليج المدرسة التّاشفينية

الزخارف الجصية

لا نعرف الشيء الكثير عن الزخارف الجصية التي كانت تزين هذه المدرسة، و لا شك أنها كغيرها من مباني ذلك العهد، كانت مزينة بزخارف جصية تكسوا الأجزاء العلوية من الجدران و العقود. يشير المهندس أدمون دوتوا(E. Duthoit) عند زيارته للمدرسة سنة 1873 م إلى و جود بعض البقايا من الزخارف المنقوشة على الجص خلف ركائز بيت الصلاة، وصفها بشكل مختصر، مكتفيا بالقول أنها لا تقل جمالا عن الزخارف التي تزين مسجد سيدي أبي الحسن، بل تضاهيها في جمالها و في دقة إنجازها،[1] مضيفا أنها تختلف عن زخرفة المباني المغربية،[2] و قام برسمها، غير اننا لم نعثر علي تلك الرسوم التي كان من الممكن أن تعطيها صورة أوضح عن تلك الزخرفة. كما أشار إلى وجود زخارف جصية أخرى تزين الجدران الداخلية لبهو البوابة الغربية و هي كتابات لنصوص قرآنية تتخللها توريقات تخفيها طبقة من الجبس.[3]

و إن كانت تلك البقايا الجصية قليلة فهي ثمينة. فوجودها خلف الركائز يؤكد إن هذا النوع من الزخرفة لم يقتصر على المحراب[4] كما هو معهود، و إنما أمتد لتزيين بقية جدران هذه القاعة، كما أن وجود بقايا من الزليج التي كانت تكسوا جدران هذه القاعة و وجود إفريز كتابي منحوت على الجص، يؤدي بنا إلى تصور أن هذه القاعة كانت مكسوة كليا بالزخارف الجصية، فالأجزاء

[1] E. Duthoit, op.cit., p. 92.

[2] من المرجح انه كان يقصد بمصطلح " الزخرفة المغربية"، زخرفة المعالم المرينية بمدينة تلمسان.

[3] Id, p. 96.

[4] كل ما نعرفه عن المحراب هو انه كان مضلع الشكل و بارز عن الجدار الجنوبي كما يظهر ذلك على مخططات المدرسة.

السفلية من الجدران يكسوها الزليج يعلوه إفريز كتابي على الجص، و الأجزاء العلوية من الجدران مزينة بزخارف منحوتة على الجص، أما القاعات الأخرى فكانت خالية من الزخارف كما يقول المهندس دوتوا (E. Duthoit).[1]

الزخارف الكتابية

إلى جانب الأشرطة الكتابية التي أشرنا لها أعلاه و التي كانت تزين بهو البوابة الغربية، يوجد شريط كتابي محفوظ بمتحف تلمسان، و من المرجح جدا انه الشريط الكتابي الذي كان موجودا ببيت الصلاة و الذي أشار إليه المهندس دوتوا (E. Duthoit)، دون أن يحدد مكان وجوده بشكل واضح و دقيق.[2] و لكن من خلال تصميمه يمكن القول انه كان يقع فوق مستوى الزليج الذي كان يكسو الأجزاء السفلية من الجدران و يشكل بداية للزخرفة الجصية. و هو عبارة عن إفريز كتابي عريض ذو تصميم معقد، يبلغ عرضه حوالي 25 سم، مكون من ثلاثة أشرطة كتابية : شريط مركزي بالخط الكوفي عرضه حوالي 15 سم، محصور بين شريطين كتابيين ضييقين بالخط النسخي، عرضهما حوالي 5 سم (شكل رقم 10، صورة رقم 1).

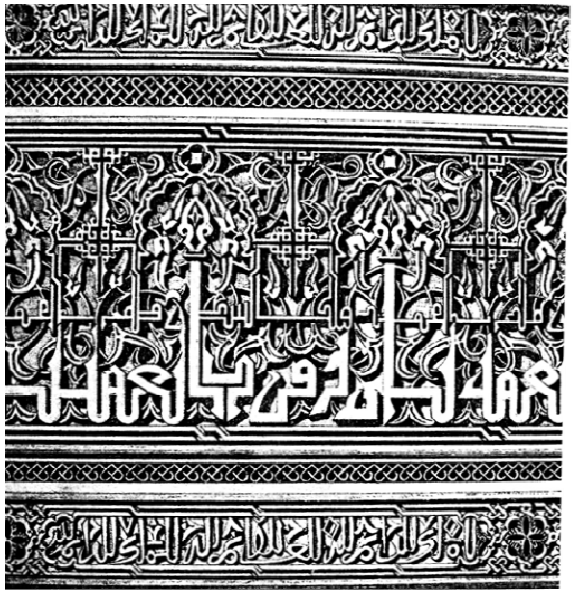

شكل رقم 10 : إفريز كتابي من المدرسة التَّاشفينية

الشريطان العلوي و السفلي، عبارة عن خراطيش أطرافها أقواس صغيرة مفصصة، و كل خرطوشة مكونة من خيطين مضفورين تربط بينها جامة صغيرة مفصصة مزينة بمراوح معرَّقة صغيرة. نقش بداخل الخراطيش نص كتابي بالخط النسخي، تتكرر فيه عبارة " الملك لله إله العالمين"، و عبارة "لله الملك الدائم". يفصل هذان الشريطان عن الشريط الكتابي المركزي، شريط هندسي مكون من ضفيرة على هيئة صف من القلوب من الجهة السفلية و صفين من القلوب المتقابلة من الجهة العلوية.

المساحة المركزية من هذا الإفريز، يحتلها شريط كتابي بالخط الكوفي يشكل العنصر الزخرفي الأساسي في هذا الإفريز، و هو يتميز بالتنوع و التعقيد في التصميم. و هو شريط كتابي عريض، تحتل قاعدته حوالي ثلث هذه المساحة، و هو بالخط الكوفي البسيط، نهاية حروفه مقطوعة و مدببة، حروف "الألف" تمتد عموديا بشكل كبير و تفصل بينها مسافات متساوية، و كل حرف زُينت

[1] Id, p. 96.
[2] E. Duthoit, op.cit., p. 94.

نهايته بمروحتين ثلاثية الفصوص متقابلتين بحيث تشكلان زهيرة سهمية الشكل، فيبدو كل حرف على هيئة عمود ينتهي بزهيرة، و هو الأمر الذي نراه في الإفريز الكتابي بالخط الكوفي على جانبي عقد المحراب بمسجد سيدي أبي الحسن بتلمسان.[1]

كما يوجد شريط كتابي ثان بالخط الكوفي، و لكنه رفيع يتوسط هذا الإفريز، و يقع فوق الشريط الكتابي الأول، يتظافر فيه حرفي "الألف" و "اللام" و يشكلان عقود مفصصة تلتف حول حروف "الألف" للشريط الكتابي الأول من جهة، و يتقاطعان فيما بينهما من جهة ثانية، مشكلان عُقد معقدة لملء الفراغ بين العقود المفصصة. أرضية النص الكتابي، مزينة بشكل كثيف بالعناصر النباتية، تتشكل من أغصان نباتية رقيقة تلتف على هيئة صف من القلوب و تنتهي في الأعلى بحلقتين تشكل أرضية للنص الكتابي، و تتخللها دوائر تتفرع منها مراوح ثنائية الفصوص تزين الفراغات بين حروف النص الكتابي السفلي، و زهيرات ذات فص واحد تزين الجزء العلوي من أرضية النص و بشكل خاص العقود المفصصة. هذه المراوح و الزهيرات تشبه في أشكالها المراوح و الزهيرات الملساء و لكن تختلف عنها في شيئ واحد و هي أنها مزينة بحزة عميقة تمتد بطول فصوصها، و هي في ذلك تشبه بعض المراوح و الزهيرات المستعملة في الشريطين الكتابيين على جانبي محراب مسجد سيدي أبي الحسن.[2]

صورة رقم 1 : إفريز كتابي من المدرسة التَّاشفينية

هذه اللوحة و إن كان الخط المستعمل فيها، سواء الخط الكوفي أو النسخي بسيط، فهي ذات تصميم نادر من حيث الجمال و التوازن و الانسجام بين مختلف العناصر المكونة له، و هو نفس التصميم تقريبا الذي نشاهده لاحقا في الأفاريز الكتابية السفلية لبهو بوابة مسجد سيدي أبي مدين بالعُبّاد،[3] و يعد من اجمل الأفاريز الكتابية التي ترجع إلى القرن الرابع عشر الميلادي بالمغرب الإسلامي.

[1] R. Bourouiba, Les Inscriptions commémoratives des mosquées d'Algérie Alger, Opu, pp, 24-25.
[2] Id, pl. XIX-4.
[3] W & G. Marçais, op.cit., fig. 55.

خاتمة

لقد اندثرت المدرسة التَّاشفينية، و لم يتبق منها سوى الجزء اليسير من الزليج الذي كان يزينها، و الذي نعرفه من خلال الرسومات التي قام بها المنهدس أوجان دونجوا (E. Danjoy) و المهندس إدمون دوتوا (E. Duthoit) و بعض البقايا المحفوظة بالمتاحف الجزائرية. و هو يتميز بتنوع كبير في تصاميمه سواء كانت نباتية أو هندسية، تجعل منها أجمل أمثلة عن الزليج بالمغرب الإسلامي تعود إلى النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي، و هذا ما يدل على اهمية الزليج في العمارة الزيانية و المستوى الرفيع الذي بلغه هذا الفن في مدينة تلمسان.

تتميز التصاميم الهندسية المستعملة بالتنوع الكبير الذي لا نشاهده في أي معلم أخر بالمغرب الإسلامي يعود إلى تلك الحقبة التاريخية، و هذا رغم المساحات الصغيرة التي حافظت على الزليج الأصلي الذي كان يكسوها. فإلى جانب التصاميم الهندسية البسيطة التقليدية، نجد مجمل تصاميم الزليج المعقدة التي تعتمد بشكل أساسي على الأطباق النجمية، حيث نجد تقريبا كل أنواع الأطباق النجمية المعروفة و التي تعد تصاميم نموذجية بالمغرب الإسلامي منذ القرن الرابع عشر الميلادي، منها الأطباق النجمية القاعدية ذات ثمانية رؤوس (المثمن)، و الأطباق النجمية الأكثر تعقيدا ذات 10، أو 16 رأس و حتى 20 رأس، و أجمل هذه التصاميم و أندرها تلك التي تكسو جدران بيت الصلاة.

و لعل أبرز ما يميز زليج هذه المدرسة، هو الزليج المورق الذي يتطلب مهارة عالية لإنجازه نظرا لصعوبة تقطيعه بالدقة المتناهية التي تتطلبها أشكال قطعه ذات الخطوط الإنسيابية، و من ثمَّ يمكن تجميعها حسب تخطيطها الأولي بشكل صحيح. و إن كان الزليج المورق معروفا بالمنطقة منذ عهد الموحدين، حيث نشاهده في تيجان مئذنة جامع القصبة بمراكش، فلأول مرة و في هذه المدرسة نشاهد استعماله بشكل واسع في فتحة عقد بوابة المدرسة و في المثلثات التي تحيط بنافورة المياه، و في عتبة بيت الصلاة، بتصاميم جد معقدة تضاهي تلك المستعملة على الجص، مع تعدد في ألوانها بحيث لا يضاهيها سوى الزليج المورق لبوابة مسجد سيدي أبي مدين، و عقد مقبرة شالَّة، و اللذان يعود تاريخ تشييدهما في نفس السنة تقريبا (739ه / 1339 م) أي أنهما شُيدا بعد احتلال السلطان المريني أبي الحسن لمدينة تلمسان.

كما نلاحظ أن استعمال الزليج ذو التصاميم الهندسية المعقدة كالأطباق النجمية و حتى النباتية (عتبة بيت الصلاة)، لم يقتصر على كسوة الجدران كما كان شائعا في ذلك العهد، و إنما توسع استعماله لتبليط الأرضيات، و هو أمر نادر على الأقل في المباني المرينية التي وصلتنا،[1] هذا ما يدل على أهمية هذه المدرسة التي لم يدخر السلطان أبو تاشفين جهدا و لا مالا في بناءها و تزيينها بأرقى الفنون الزخرفية التي كانت سائدة في عهده و منها فن الزليج، كما يدل ذلك على أهمية هذا الفن الزخرفي و مدى التطور الذي بلغه في عهده. كما نلاحظ أن الألوان المستعملة في الزليج المورق تختلف عن تلك المستعملة في الزليج ذو التصاميم الهندسية، ففي النوع الأول كان الاعتماد على اللون الأبيض الذي يشكل أرضية للعناصر النباتية، مع استعمل اللون الأسود للأغصان و للجزء السفلي و الأوسط للمراوح ذات اللونين، و استعمل اللونين الأخضر و الأزرق بشكل كبير في المراوح و بدرجة أقل اللون و البنفسجي و اللون الأصفر.

[1] فالمبنى المريني الوحيد الذي نشاهد فيه استعمال أطباق نجمية لتبليط الأرضية هو إحدي القاعات الواقعة خلف مسجد مقبرة شالّة، أنظر.
Ch. Terrasse, op.cit., p. 2.

أما بالنسبة للتصاميم الهندسية، كان الاعتماد بشكل أساسي على اللون الأسود الذي شكلت منه أغلب الأطباق النجمية و مختلف المضلعات المشكلة لتلك التصاميم، إلى جانب اللون الأبيض الذي يشكل خيوط رقيقة تفصل بين المضلعات، كما أستعمل اللون الأزرق و اللون الأصفر و لكن بنسبة أقل لتشكيل الأطباق النجمية المضلعات الصغيرة، للمساهمة في تعقيد التشكيلات الزخرفية و إضفاء لمسة من الألوان و الضؤ عليها. أما اللون الأخضر فهو نادر الاستعمال. و تجدر الإشارة إلى ان مختلف لوحات الزليج سواء كانت هندسية او نباتية، تتميز بوحدة في تصاميمها و في الوانها و بانسجام فيما بينها و بين المساحات التي تزينها، هذا ما يؤكد انها أنجزت على دفعة واحدة عند بناء المدرسة.

و إن لم تصلنا نماذج من الزخارف الجصية، فإن النموذج الفريد من الكتابات المنقوشة على الجص الذي وصلنا، يعد من أجمل ما وصلنا من فن الخط العربي بالغرب الإسلامي الذي يعود إلى القرن الرابع عشر الميلادي، مما يدل على المستوى الراقي الذي بلغه هذا الفن في عهد بني زيان خلال تلك الفترة.

عموما إن هذه المدرسة من خلال تخطيطها و زخارفها تدل على المستوى الراقي الذي بلغه الفن الإسلامي في عهد بني زيان خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي، و بشكل خاص في فن الزليج الذي يعد واحد من أهم مميزات الفن المغربي الأندلسي، حيث أن زليج هذه المدرسة يضاهي إن لم يتفوق على أجمل ما انتجته ورشات فاس و غرناطة من زليج، مما يدل على المساهمة الفعَّالة للمغرب الأوسط و بشكل خاص مدينة تلمسان في إيجاد و تطوير مدرسة خاصة في الفن الإسلامي و التي أصبحت تميز منطقة الغرب الإسلامي منذ ذلك التاريخ و التي تعرف باسم الفن المغربي الأندلسي.

البيبلوغرافيا

التنسي (محمد بن عبد الله)، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من كتاب نظم الدّر و العيقان في بيان شرف بني زيان، حققه و علق عليه محمود بو عياد، الجزائر، 1985.

J.J.L. Bargès, Tlemcen, ancienne capitale du royaume de ce nom, Paris, Benjamin Duprat, 1859.

H. Basset & H. Terrasse, sanctuaires et forteresses almohades, Paris, Larose Editeur, 1932.

R. Bourouiba, L'art religieux musulman en Algérie, Alger, Sned, 1981.

R. Bourouiba, Les inscriptions commémoratives des mosquées d'Algérie, Alger, Opu, 1984.

Ch. Brosselard, Les tombeaux des émirs Beni-Zeyna, et de Bouabdil dernier roi de Grenade découverts à Tlemcen, Extrait du journal asiatique (Janvier-février 1876), Paris, Imprimerie nationale, 1876, p. 392.

E. Duthoit, Rapport sur les monuments historiques de l'Algérie : Architecture musulmane dans la province d'Oran, Amiens, 1875.

H. Gayot, Le décor floral dans l'art de l'Islam occidental, Rabat, 1955.

L. Golvin, La madrasa médiévale, Aix-en-Provence, Edisud, 1995.

G. Marçais, « Remarques sur les médersas funéraires en Berbérie », Mélanges Gaudefroy-Demonbynes, le Caire, 1934.

W & G. Marçais, Les monuments arabes de Tlemcen, Paris, Albert Fontemoing Editeur, 1913.

E. Levi-Provençal & H. Basset, Chella : une nécropole mérinide, Hespéris, 1922.

A. Paccard, Le Maroc et l'artisanat traditionnel islamique dans l'architecture, Annecy, Ed. Atelier 1974, 1981.

Ch. Terrasse, Médersas du Maroc, Paris, A. Morancé, 1927.